

التجربة الجمالية والصورة الفنية وأبعاد الهوية المغاربية لدى شعراء الجزائر

The aesthetic experience, the artistic image and the dimensions of the Maghreb identity among the poets of Algeria

د. يوسف بن نافلة

جامعة حسيبة بن بوعلي-الشلف (الجزائر)

youcef080@live.fr

تاريخ النشر: 2019/04/01

تاريخ القبول: 2019/03/17

تاريخ الإرسال: 2018/12/13

الملخص:

تتناول هذه الورقة البحثية الحديث عن الجوانب الجمالية وكذا روعة الصور الفنية مع التأكيد على دعوة الشعراء الجزائريين للوحدة المغاربية من خلال أشعارهم ونصوصهم الخالدة ، من ذلك الإشارة إلى خصائص التركيب في الشعر الجزائري ووظائف التراكيب الشعرية ، وروعة التصاوير ، والتعامل مع المعاني لدى شعراء الجزائر. بعدها أذكر ثلة من الشعراء الجزائريين الذين تغنوا بالاتحاد المغاربي ، وعلى رأسهم مفدي زكرياء الذي لُقّب بشاعر الثورة الجزائرية والوحدة المغاربية ، والشاعر أبي الحسن علي بن صالح القراري الجزائري ، والشاعر رمضان حمود ، وصالح خرفي ، ومحمد العيد آل خليفة ، وأبي القاسم خمار ، وأبي القاسم سعد الله وغيرهم كثير.

الكلمات المفتاحية: الصورة ، الجمالية ؛ الشعر المغاربي ، الهوية ؛ الأدب الجزائري ؛ شعراء الجزائر.

Summary:

This paper discusses the aesthetic aspects as well as the beauty of artistic images, with emphasis on the Algerian poets' call for Maghreb unity through their poems and timeless texts, from the reference to the characteristics of the structure in Algerian poetry, the functions of poetic structures, and the magnificence of the portrayals and the meanings of the poets of Algeria. I mention a number of Algerian poets who sang in the Maghreb Union, headed by Mafdi Zakaria, who was named the poet of the Algerian revolution and the Maghreb Unity, the poet Abi Hassan Ali Ben Saleh Al-Qarari of Algeria, the poet Ramadan Hammoud, Saleh Kharfi, Dr. Eid Al Khalifa, and Abu al-Qasim headcover, and Abu al-Qasim Saad Allah and many others.

Keywords: image; aesthetics; Maghreb poetry; identity; Algerian politeness; poets of Algeria.

المقدمة:

لقد أنجبت الجزائر جملة من الأدباء الأفاضل ، والشعراء الكبار الذين خلّدوا الثورة الجزائرية في كتاباتهم ، دعوا إلى تحقيق الوحدة المغاربية وكان ذلك حلمهم السامي ، إذ بوحدة أدباء المغرب العربي وهم من النخبة في مجتمعاتهم ، حتما سنصل إلى وحدة الشعوب ، ولعلّ من أهم الشعراء الجزائريين الذين كانوا يحلمون بالوحدة المغاربية الشاعر الكبير والمتمكّن القامة النحير مفدي زكرياء الذي كان يُعرف بشاعر الثورة الجزائرية، والوحدة المغاربية ، وقد ارتأيت في هذا البحث أن أتحدث عن مضامين الخطاب الشعري لدى كبار الشعراء الجزائريين الذين مجّدوا الاتحاد المغاربي منهم: مفدي زكرياء، ورفيقه محمد العيد آل خليفة شاعر الشباب وشاعر المغرب العربي، ورمضان حمود ، وصالح خرفي ، والشاعر جلواح ، وأبو الحسن علي بن صالح ، وإبراهيم أبو اليقظان ، ... وغيرهم ، مع الإشارة إلى جوانب فنية جمالية في نصوصهم الشعرية.

أما الإشكال الذي أرغُب في طرحه فيتمثل في الإجابة عن جملة من الأسئلة هي على النحو الآتي:

1-كيف ساهمت الحركة الشعرية الجزائري في الدعوة إلى الوحدة المغاربية؟

2-ماهي النصوص الشعرية الجزائرية التي تُجسّد تجليات الاتحاد المغاربي؟

3-كيف ساهم الشعر الجزائري الحديث والقديم في الدعوة إلى وحدة الصفّ المغاربي؟

4- فيم تكمن جماليات الصورة الفنية في خطابات الشعراء الجزائريين؟

فكرة عن الأدب الجزائري وأصوله:

يذكر الدكتور عمر بن قينة أنّ أصول الحداثة في الأدب الجزائري تعود إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، حين كان ارتباط الحركة الأدبية في المغرب العربي بالمشرق العربي قائما ،وقد بدأت النهضة في العالم العربي عموما باستلهاام التراث العربي المشترك في عصور ازدهاره الأولى ،انطلاقا من إحياء أمهات الكتب ، في هذا التراث، والاستفادة من عناصر القوة إلى جانب ما بدأت تسهم به حركة الترجمة ، والنقل ، والطباعة، والنشر، والانفتاح على الثقافة الأوروبية عموما .

وإذا كان من رواد الحركة الأدبية الحديثة في المشرق العربي محمود سامي البارودي (1838-1904م) ، فإنّ الأمير عبد القادر يعتبر من رواده في المغرب العربي عموما ، وفي الجزائر خصوصا ، فهما يمثلان مدرسة الإحياء، والتجديد ، وقد شاركا في صفات البطولة في الشعر ، وفي الحرب ، فكلّ واحد منهما خاض المعارك في ميدان القتال ، كما عانا كلاهما ألم المنفى ، ووحشة الغربة ، فقد قضى محود سامي البارودي سبع عشرة سنة منفيا في جزيرة (سرنديب) لاشتراكه في الثورة العربية ، وعانى الأمير عبد القادر المنفى في (فرنسا)، والغربة في (بروسية) ، ثم ف (دمشق) بعد الغدر به على إثر استسلامه عندما فقد الساعد ، والمعاضد كما قال.

وكلا الرّجلين في الأخير –مع بعض الاختلاف- متّصل بالتراث الأدبي العربي عموما ، والشعري خصوصا في عصوره الزاهية، ويستوحياه في الإنشاد ، مع روح تجديدية متوثبة فكرة ، وشعورا وطريقة كما عكسه البارودي في مثل قوله:

أسيرُ على نهج يرى النَّاسَ غيره لكلّ امرئ فيما يحاول مذهبُ

حدث هذا في مصر كما حدث للأمير عبد القادر في الجزائر أثناء حياته إبان قيادته الكفاح ، والمقاومة في فترة كانت الثقافة العربية ، والحركة الأدبية في الجزائر ذات حيوية كما كان التعليم منتشرا ، والعربية سليمة من العُجمة ، والضعف ، وهو الوضع الذي بدأ يتراجع بمجيء الاحتلال ، والاستبداد ، حيث بدأت تنتشر الأمية بتوطد الاحتلال ، ويضعف المستوى الأدبي بانزواء رجال أو صمّتهم ، وهجرة بعضهم ، خاصة بعد نفي الأمير

من الجزائر لهذا تبقى فترته فترة حداثّة أدبية. كما يبقى شعره ممثلاً لهذه الفترة، وإلى جانبه أصوات شعرية في مقدمتها صديقه الأديب القاضي محمد الشاذلي القسنطيني (1807-1877 م).

أما في النثر الخاص بهذه الفترة – وقد احتفظ برونقه – فتبرز أمامنا عدّة أسماء مختلفة فكرياً، ومنهجياً، وفي مقدمة هذه الأسماء حمدان بن عثمان خوجة (1773-1840 م) صاحب كتاب (المرآة)، وكتاب (اتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس من الوباء) ذو الفكر الثاقب النير والروح القومية لتوثبة

ويعتبر كتاب (المرآة) علامة مضيئة في الفكر الجزائري، وشهادة حيّة عن شراسة صليبية، وحقد استعماري، عكست طموح الشرفاء الجزائريين الأبوة إلى العزّة، والكرامة رفضاً لكل أشكال الهيمنة، والظلم، والاحتلال. وكمل عبّر الكتاب عن روح شخصية فكرية جزائرية فذّة، عبّر بوضوح عما لحق بالجزائر من أذى، وويلات استبدادية مثلما عبّر عن الحس الوطني، والقومي بعمقه الديني الذي بقيت تعوزه كثير من عناصر القوة لقهر الأعداء، وعناصر الوحدة الشاملة للوقوف في وجه عمليات الاضطهاد، والمسح، والإذلال، والمسح، بعد عمليات الحرق، والإبادة، والمصادرة، والاستحواذ على الأرض وعلى كلّ ما عليها، ومن عليها.¹

أما الشخصية الثانية من هذه المرحلة ومفكرها، وأدبائها فهو محمد بن العنّابي اسم الشهرة الذي عُرف به المفتي الجزائري محمد بن محمود بن محمد بن حسين (1775-1851 م)، وقد كتب الشعر كما كتب النثر، وله فيه بالخصوص كتابه (السعي المحمود في نظام الجنود) وهو كتاب سياسي عسكري عن الحاكم والرعية، وإعداد الجيش، وحسن السياسة في غدارة شؤون الأمة بالعدل والإحسان.

وكان يتولى منصب القضاء الحنفي في عهد الداوي أحمد باشا كما تعاطى السياسة بسفارة للمغرب الأقصى، مما يوضح أنه لم يكن مجرد عالم بالفقه، وما إليه من العلوم الشرعية، بل كان أيضاً دبلوماسياً محتكاً، ناجحاً، وخبيراً بشؤون الدّول.

وبعد الاحتلال الفرنسي دخل في مواجهة مع المحتلين الذين انطلقوا يستولون على الشؤون الدينية، ويحوّلون المساجد مستشفيات، فأمر الجنرال الفرنسي (كلوزيل) رجال الدّرك بالقبض عليه، فقادوه إلى السجن بدعوى عمله لإعادة الحكم الإسلامي للجزائر، كما اضطهدت أسرته، وأهينته، ثم نُفي من الجزائر قبل نهاية سنة 1831 م محروماً من مهلة كافية لبيع أملاكه، فلم تتجاوز عشرين يوماً، فاتّجه إلى مصر، وأقام في مدينة الإسكندرية كما تولى التدريس في الأزهر الشريف، فالتفّ حوله العلماء، وتلاميذ من مصر، وتونس وغيرهما، وتوثقت صلاته الثقافية، والأدبية ببعض معاصريه حتى كانت وفاته سنة 1851 م.

أما عن أهم أثر له فهو كتابه (السعي المحمود في نظام الجنود) الذي نال إعجاب محمد علي في مصر، وبإشارة منه اختصر أحد تلاميذ المؤلّف هذا الكتاب بعنوان: (بلوغ المقصود: مختصر السعي المحمود).

والكتاب يضم ستة عشر فصلا في اتخاذ الجند ، وترتيبهم ، ومواقفهم ، وضباطهم ، وفي عقد الألوية ، والتدريب على الأعمال الحربية ، وفي اللباس ، والحزم ، وحيل العرب ، و"جواز تعلّم العلوم الآلية من الكفرة"، وضرورة "اجتماع الكلمة والاتفاق " ، وغيرها مثل "رحمة الضعفاء ، وإجراء العدل و بذل الحقوق لمستحقها " ، هذه النقطة الأخيرة يرى الأستاذ أبو القاسم سعد الله أنّ ابن العنابي دخل بها حقا عصره ، في الدعوة إلى إنصاف الضعفاء ، وإجراء العدل في موضوع سياسي ضمن حديث عن قضايا حربية ، لتحذير الحكام من الظلم، والاستبداد ، والجور في الأحكام ، ومنع الناس حقوقهم ، وإيثار من لا يستحق ، مما يعتبره ابن العنابي هنا "من أسباب خراب الملك ، وزوال الدولة " ، وفي ذهنه مآل الدولة العباسية التي حُظي فيها المغنون "وأهل اللّعب والبطالة" بالرعاية ، وأهملت الرعية ، فيرى لذلك أربعة شروط في الحاكم المرضي عنه "من الله والعباد " وهي:

1- إقامة العدل .

2- إظهار شعائر الدين .

3- نصرة المظلوم ، والأخذ على يد الظالم ، وكفّ يد القوي عن الضعيف .

4- مراعاة الفقراء ، والمساكين ، وملاحظة ذوي الخصاصة ، والمستضعفين .

وهي رؤى استمدّت فيها الكاتب قيم الحضارة العربية الإسلامية بخلفية دينية واضحة سعيا للإصلاح ، وتمكيننا للحسّ السياسي المسؤول ، وتأصيلا لتقاليد إسلامية في الأخوة ، المحبة ، والتآزر ، والعدل ، والإنصاف ، والعمل ، والإخلاص فيه ، ومكافأة الجادين من أهل العلم ، والفضل من إيثار لغير الكفاءة ، والإخلاص² .

أما الشخصية الثالثة فهي شخصية الكاتب والشاعر قدور بن رويلة المتوفى سنة (1272هـ - 1855م) ، وقد وُلد في الجزائر العاصمة الحافلة قبل الاحتلال الفرنسي بالمتقنين ، والعلماء ، وبعد سقوط مدينة الجزائر في أيدي المحتلين فرّ إلى مليانة للالتحاق بجيش الأمير عبد القادر ، ثم اتّخذهُ الأمير كاتباً حتى سنة 1259هـ/ 1843م) وهو التاريخ الذي وقع فيه أسيرا بين أيدي الفرنسيين في معركة "طاقين" قرب "الشلالة" بقيادة (دومال D'Aumale) ابن ملك فرنسا عندما هاجم هذا عاصمة الأمير (الزمالة) المتنقلة ، بينما كان الأمير في معركة أخرى ضارية مع الجنرال الفرنسي (لاموريسيير LA Moricière) في "تاقدامت" و"سرسو".

ترصدّ (الدوق دومال) العاصمة المتنقلة لتوفرها على القدرات المالية للجيش الجزائري ، فيسخر لترصدها العملاء ، والخونة ، الذين حدّدوا نزولها في (طاقين) يوم 16 ماي 1843م ، مما مكّن الفرنسيين من الانقضاض عليها بتدبير مكيدة أشار بها الخائن عمر العيادي حيث كانت الخسائر باهضة ، في الأنفس ، والعتاد ، و الأموال ، وكان قدور بن رويلة من بين أسرى المباغطة بمكيدة العدو والخونة .

ثم أُطلق سراحه ، ونُفي إلى المدينة المنورة ، من هناك أعاد اتّصلاته الكتابية بالأمير ، وتساجلا شعرا.

وبعد وصول الأمير إلى "الأستانة" على إثر الإفراج عنه سنة 1269هـ-1853م ، كان ابن رويلة ممن أقبلوا عليه في "بروسة" إلى دمشق لكنه لقي ربه في الطريق ، ببيروت سنة 1272هـ قبل وصول دمشق.

وقد ارتبطت شخصية ابن رويلة بالأمير ، فهو شاعر ، ومجاهد ، عمل كاتباً للأمير له أشعار قليلة ، أما أهم آثاره فهو رسالته التشريعية المستوحاة من الشريعة الإسلامية كقانون عسكري ، جاءت في شكل كتاب بعنوان: "وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب ويليهِ ديوان العسكر المحمدي الغالب"³

وهو قانون من تفكير الأمير ، وتحرير ابن رويلة الذي يعتبر المسلمين المقيمين تحت حكم الكفار ذميين ، حين دعا من بقي في مدينة الجزائر إلى مغادرتها رفضاً للإقامة تحت سلطة الكفار التي ينبغي أن يناهضها المسلم .

وهكذا يتّضح أنّ القضايا السياسية ، والعسكرية ، والاجتماعية كانت في مقدمة انشغالات الكتاب في هذه الفترة كما عكستها معظم الكتابات التي بدأت تتفاعل مع محيط دولي متغيّر ، بدا فيه العربي خصوصاً ، والمسلم عموماً يتطلّع إلى الخروج من انحطاطه ، وتخلّفه ، وقد احتفظ النثر لديهم عموماً بقوة التعبير ، ورونقه ، فتناغم ذلك مع حيوية القضايا التي عالجها أغلب كتاب هذه الفترة.

غير أنّ زعامة الحركة الأدبية عموماً تبقى في هذه الفترة أيضاً للأمير عبد القادر (1807-1883م) خصوصاً بشعره الذي اختلف ألوانه ، ثوريات ، وإخوانيات ، وغزليات ، فخراً ، وتصوّفاً ، وتأملاً ، ووصفاً ، وهي ألوان اختلفت حجماً أو كثافة ، ومستويات فنيّة.

فالأمير عبد القادر من جيل النهضة الحديثة في الوطن العربي ، مسك بزعامة السيف ، وزعامة الشعر في وطنه ، ولد في قرية (القيطنة) غرب مدينة معسكر 1222هـ-1807م ، حيث نشأ ، ودرس على يد والده الشيخ محيي الدين الذي أجبرته السلطات العثمانية على الإقامة في وهران سنة 1236هـ-1821م حيث صحبه ابنه عبد القادر الذي بدأت تتّسع معارفه بالدراسة على علماء المدينة ، كما شرع يتّسع وعيه بطبيعة الحكم العثماني يومئذ في ضعفه السياسي ، وسوء تدبيره ، واستغلال فئة حاكمية ، ثم قام بفريضة الحج سنة 1241هـ-1825م ، صحبه والده الذي سمحت له السلطات العثمانية بذلك ، فكان ذلك مناسبة للتعرف على الأوضاع في عدة بلدان عربية خلال سنتين تونس ومصر ، والعراق ، وسوريا ، ثم ليبيا في طريق العودة عبر (برقة) ، وطرابلس حين كان الرجوع إلى قرية (القيطنة) في 1243هـ-1828م.

وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر ، وتسليم حسين داي البلاد إلى الفرنسيين ، وإعلان استسلامه في الخامس من شهر جويلية 1830م بدأت أشكال مختلفة من المقاومة في كلّ أنحاء الوطن ، فالتفت حول محيي الدين والد عبد القادر مواطنو قسم كبير من الغرب الجزائري ، خاصة منطقة معسكر من أجل مقاومة الاحتلال الفرنسي ، وتحرير الوطن غير أنّ كبر سنّه ، ونباهة ابنه عبد القادر ، وحماسه الثوري ، جعلته يقترحه للقيادة ، فتمّت مبايعته تحت شجرة الدردرة المعروفة في "غريس" بوادي (فروحة) في 13 رجب 1248هـ الموافق لـ 18 نوفمبر

1832م ، ومنه داخل مدينة معسكر حيث كانت المبايعة العامة ، وانطلق الجهاد أكثر حيوية، وعزما، وحبًا، وإخلاصاً.⁴

بعده حدثت انتكاسة ثقافية تحت ضغط الاحتلال الفرنسي ، وبعد الانتكاسة السياسية ثم الثقافية ، والأدبية فترة انكماش ثقافي أشبه بالغيوبة ، حيث شعر فيها الإنسان الجزائري بالغبن ، والانكسار المادي والمعنوي، وهو ما شمل الكتاب ، و الأدباء الذين هم بطبيعتهم أكثر إحساسا بالمعاناة الوطنية بكل امتداداتها تحت الاحتلال النصراني الظالم المتعجرف ، فامتد ذلك حتى أواخر القرن التاسع عشر حين بدأ يسري في المجتمع انتعاش واعد باستئناف النهوض بعد الانكسار بفعل عوامل مختلفة داخلية ، وخارجية .

فشرع الوضع الثقافي في الانتعاش إذ لا يلبث أن يبرز فيه كتاب مختلفون أولهم الشيخ العلامة عبد القادر المجاوي كشخصية متميزة بفكرها ، وطموحها إلى النهضة ، وأملها في التغيير ، والإصلاح . ولد في مدينة تلمسان سنة 1267هـ-1848م حيث درس ، ثم انتقل إلى المغرب لمتابعة دراسته في فاس ، و طنجة ، وجامع القرويين ، عاد بعد ذلك إلى الجزائر سنة 1292هـ ، فأدى فريضة الحج ، وشرع في التدريس ، وفي سنة 1315هـ - 1858م ، انتقل المجاوي إلى العاصمة للتدريس في مدرستها العليا الثعالبية كما عُيّن إماما وخطيبا بجامع سيدي رمضان بالعاصمة سنة 1326هـ -1908م ، وبقي في قمة نشاطه ، إماما قديرا ، وأستاذا متمكنا ، ومؤلفا نشيطا ، رجل إصلاح في جميع الحالات بمستوى الوضع ، والظروف ، وقد تخرّج على يديه أعلام في الفكر، والعلم، والتعليم، والثقافة ، وفي مقدمتهم "حمدان الونيسي" أستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس ، وكذلك الولود بن الموهوب ، غيره. وقد توفي الشيخ المجاوي بمدينة قسنطينة في السادس من أكتوبر 1914م حيث دفن تاركا وراءه أثارا طيبة معظمها في النحو واللغة بلغت ستة عشر كتابا.

وبعد المجاوي في هذه الفترة نجد الشيخ (أبو القاسم الحفناوي) 1852-1942م صاحب كتاب (تعريف الخلف برجال السلف) ، والشيخ محمد بن أبي شنب (1286-1347هـ / 1869-1929م) .⁵

أما في مجال الشعر فقد برزت أسماء مختلفة أهمها ثلاث شخصيات كتبت النثر ، و كتبت الشعر أولها محمد بن عبد الرحمن الديسي المولود سنة 1270 هـ - 1854م ، والمتوفى سنة 1339هـ - 1921م ، وثانيها الشيخ عاشور بن محمد بن عبيد الخنقي (1264 - 1344هـ / 1854-1929م) ، أما ثالثها فهو عمر بن قدور الجزائري (1886-1932م).⁶

أما ما يتعلّق بالحركة الشعرية في الجزائر من الفترة 1920 إلى 1962م فيمكن إجمالها فيما يأتي:
1-التيار التقليدي: من بين الأسماء الأدبية في هذه المرحلة في الشعر وفي النثر أيضا إبراهيم أبو اليقظان بن الحاج عيسى، ومحمد العيد آل خليفة، و مفدي زكرياء ، والدكتور صالح خرفي، و أبو القاسم سعد الله، وأبو القاسم خمّار.

2- في الشعر الوجداني: ويمثله الشاعر مبارك جلواح (1908-1943 م)، ومحمد الأخضر السائحي المولود في سنة 1918 م، وأبو القاسم خمار المولود ببسكرة سنة 1931 م⁷.

أدباء من المغرب العربي الكبير :

ويذكر الدكتور شوقي شوقي ضيف في كتابه (عصر الدول والإمارات: الجزائر-المغرب-موريتانيا-السودان) أهم أدباء المغرب العربي ففي الجزائر ذكر من الشعراء: عبد الكريم النهشلي، و عبد الله بن محمد التنوخي (ابن قاضي ميله)، وابن خميس، و محمد بن يوسف القيسي الثغري التلمساني، الشهاب بن الخلوف، و محمد القوجيلي، وأبو حمو موسى الثاني، وبكر بن حماد التاهرتي، وسعيد المنداسي، و عبد الرحمن الأخضر، و محمد أحمد الأريسي، وإبراهيم بن عبد الجبار الفجيحي التلمساني، و عبد الله بن محمد الجراوي، و محمد بن علي بن حماد القلعي، و أبو العيش بن عبد الرحيم الخزرجي، و إبراهيم التازي، و محمد بن عبد الله العذار وغيرهم

أما في النثر فنجد أبا القاسم عبد الرحمن القالبي، والوهراني، وأبو الفضل بن محشرة وغيرهم⁸ ..

أما في المغرب الأقصى فيذكر من الشعراء ابن غرلة، و ابن الصباغ، و ابن زاكور، و ابن عُمير، وابن شجاع التازي، وابن زبناح، وحبوس، والجراوي، و ابن عبد المنان، و الهوزالي، و أحمد بن القاضي، والدغوي، والبوعناني، والشاذلي، و عبد العزيز الملزومي، و ابن الونان، و أبو الربيع الموحدي، وعمر السلي، و عبد العزيز الفشتالي، و ابن شعيب الجزنائي، و أبو علي اليوسي، و ميمون بن خبازة، و مالك بن المرحل.

أما في أدب الرحلة فيذكر رحلة ابن رشيد، و رحلة العبدري، و رحلة العياشي، و رحلة ابن ناصر، و رحلة الوزير الغساني، و رحلة محمد بن عثمان المكناسي. أما عن كبار الكتاب فهم: القاضي العياض، وأبو جعفر أحمد بن عطية، وابن بطوطة، و محمد بن علي الفشتالي، و محمد بن الطيب العلمي وغيرهم⁹....

أما في موريتانيا فنجد من الشعراء: ابن رازكه، و محمد اليدالي الديماني، و حرم بن عبد الجليل العلوي، و مختار بن بون، و محمد بن سيدي الأبييري، و محمد بن الطلبة اليعقوبي، و المختار الكنتي، و مولود بن أحمد الجواد اليعقوبي¹⁰.

أما في السودان فنجد من الشعراء الشيخ حسين زهراء، والشيخ محمد عمر البنا، والشيخ يحيى السلاوي السوداني، و عثمان هاشم، و الشيخ محمد سعيد العباسي، و الشيخ أبو القاسم أحمد هاشم، والشيخ عبد الله البنا، و صالح عبد القادر، والشيخ عمر الأزهرى، والشيخ عبد الرحمن¹¹

ماهية الشعر ومهمته :

لقد عرّف ابن طباطبا الشعر بقوله :

(كلام منظوم ،بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم ،بما خصّ به من النّظم الذي إن عدل عن جهته مجته الأسماع ، وفسد على الذّوق .ونظمه معلوم محدود ، فمن صحّ طبعه ، وذوقه لم يحتج إلى الاستعانة على نظم الشعر بالعروض التي هي ميزاته ، ومن اضطراب عليه الذوق لم يستغن من تصحيحه ، وتقويمه بمعرفة العروض ،والحذق به حتى تعتبر معرفته المستفادة كالطّبع الذي لا تكلف معه .)¹²

ويذكر جابر عصفور انطلاقاً من التعريف السابق لابن طباطبا أنّ أهم ما في هذا التعريف أنه يُحدّد الشعر على أساس الانتظام الخارجي للكلمات ، وأنّ التعريف صحيح لا يشير صراحة إلى قافية إلا أنها متضمنة فيه . والتعريف لا يهتم بالجانب التخيلي من الشعر ، من حيث مصدره أو تأثيره ، وإنما يهتم بالشعر في ذاته باعتباره بنية لغوية ، ومنتظمة على أساس من الطبع ، والذّوق ، وأنه استقرّ في عصر ابن طباطبا تعريف الشعر عند الفلاسفة على أنه " الكلام المُخَيَّل " الذي ينشأ عن فاعلية "المخيلة " عند المبدع ، ويحدث تأثيره بتحريك قوة المخيلة عند المتلقي ، لكن ابن طباطبا لا يلجأ إلى هذا التعريف الفلسفي ربما لأنه فهم "التخيّل " باعتباره خاصية أساسية في الفنّ الأدبي بعامة ، يمكن أن ينطوي عليها الشعر ، والنثر على السواء ، وبذلك يظلّ أساس التمييز في الشعر هو الانتظام اللّغوي المتميز للشكل ويربط ابن طباطبا الشعر بصحة "الطبع والذوق " كأنه يشير إلى الشعر لا يمكن تعلمه إذا افتقد المرء مجموعة من الاستعدادات النفسية للنّظم ، وبذلك لا يمكن للمعرفة العروضية أن تخلق شاعراً ، مما يجعلنا نفهم عبارة (النظم الذي إن عدل عن جهته مجته الأسماع وفسد على الذّوق) فهما رحبا ، يرتبط بمبدأ من مبادئ الفنّ الأساسية ، وهو الانتظام . ولنلاحظ أنّ (النظم) مصطلح له أبعاده المرتبطة بتفسير إعجاز القرآن الكريم ، وبأرقى درجات البلاغة التي لا تنفصل عن الذّوق ، فمن اضطرب عليه الذّوق لم يستطع تصحيح الشعر ، وتقويمه ، بمعرفة العروض ، أو الحذف به ، إلا إذا تحولت المعرفة المستفادة إلى شيء "كالطبع الذي لا تكلف معه" ¹³

وأنّ العبارة الأخيرة في رأي الناقد جابر عصفور تقودنا إلى مفهوم الصنعة ، الذي يتلخّص في أنّ الشعر مهارة نوعية ، ترمي إلى إحداث أثر بعينه ، تنشأ مصاحبة لاستعداد خاص ، أو طبع ، وتتطلب استخدام أدوات بعينها ، وتكتمل بالممارسة ، والدّربة ، والرجوع إلى قواعد محدّدة ، تؤخذ من تجارب السّابقين الذين حقّقوا نجاحاً لافتاً في صنعتهم ، وإذا كان الاستعداد (الطبع) يعني – عند القدماء من معاصري ابن طباطبا- (ملكة نفسانية) أو (قوة النفس الفاعلة) تصدر عنها الأفعال ، أو الأعمال الاختيارية صدوراً تلقائياً ، فإنّ القواعد المحددة تشير إلى الخبرة "بكيفية العمل " ، ومادامت الخبرة بكيفية العمل يمكن أن ترسخ فتتحوّل إلى طبع . ولذلك يبدو إتقان الأدوات مستحيلاً بغير طبع متأصل – أو كالتأصل- في النفس . و(الأداة) – في المصطلح القديم – هي الوسطة بين الفاعل (الشاعر) والمنفعل (المتلقي) في وصول أثر الأول إلى الثاني . والإتقان في استخدام الأداة لا يمكن أن يتم دون طبع ، ومتى لم يكن ثمّ طبع لم تفد الأدوات شيئاً ، فمثل الطبع كمثال

النار الكامنة في الزناد، ومثل الأدوات كمثال الحرق، والحديدة التي يقدح بها الزناد ألا ترى أنه إذا لم يكن في الزناد نار لا يفيد ذلك الحرق، ولا تلك الحديدة شيئا.

وفي هذا الضوء ينبغي أن نفهم عبارات ابن طباطبا: "للشعر أدوات يجب إعدادها قبل مراسه، وتكلف نظمه، فمن تعصت عليه أداة من أدواته، لم يكمل له ما يتكلف منه، وبان الخل فيما ينظمه، ولحقته العيوب من كل جهة". أي أنّ علينا أن نرد استعصاء الأداة إلى استعصاء الطبع، وتفهم الأداة فهما رحبا لا يقصرها على مجرد التوسيع في علم اللغة، والبراعة في فهم الإعراب، والرواية لفنون الآداب، والمعرفة بأيام الناس، وأنسابهم، ومناقبهم، ومثالبهم، بل يمتدّ بها لتشمل الوقوف على مذاهب العرب في تأسيس الشعر، والتصرف في معانيه في كلّ فنّ قالته العرب فيه، وسلوك مناهجها... وإيفاء كلّ معنى حظه من العبارة وبالباسه ما يشاكله من الألفاظ حتى يبرز في أحسن زيّ، وأبهى صورة، واجتناب ما شنيه.. حتى لا يكون متفاوتا مرقوعا، وبمثل هذا الفهم تصبح الأداة الشعرية واسطة ناجحة بين المبدع، والمتلقي، فتقوم بعملية توصيل المعنى الشعري على أحسن وجه. وبالتالي تحدث الصنعة أثرها المطلوب، وتؤثر في أكثر من مجال إدراكي في الإنسان، فيلتذ الفهم بحسن معاني الشعر كما يلتذ السمع بمونق لفظه.¹⁴

أما الدكتور الأخضر جمعي فينطلق في مفهوم الشعر من تعريف ابن سينا: (الشعر كلام مُخيّل مؤلّف من أقوال ذوات إيقاعات مُتفقة، متساوية، متكررة على وزنها، ومتشابهة حروف الخواتيم). فالكلام جنس أول للشعر يعمّه مثل الخطابة، والجدل وسائر ما يشبهها....¹⁵

أما ما يتعلق بالأساس الأخلاقي لمهمة الشعر فيبدأ تحديد هذه المهمة لدى جابر عصفور من تأكيد حقيقة مؤداها أنّ الأقاويل الشعرية بها استجلاب المنافع، واستدفاع المضار، ببسطها النفوس إلى ما يرام من ذلك، وقبضتها عما يرام، بما يخيّل لها فيه من خير أو شرّ.... وما دام المقصود بالشعر فيما يقول حازم القرطاجني هو إنهاء النفوس إلى فعل شيء أو طلبه أو اعتقاده، أو التخلي عن فعله أو طلبه، أو اعتقاده فمن المنطقي أن يكون الموضوع الأساسي في صناعة الشعر هو الأشياء المتّصلة بما يفعله الإنسان، ويطلبه، ويعتقده، ومن المنطقي أيضا أن تكون أداة صناعة الشعر متّصلة بغايته أو مؤدية إليها، فتظلّ منتسبة إلى الفعل الإنساني من زاوية الطلب أو الاعتقاد أو الممارسة.¹⁶

وتنحصر مهمة الشعر أساسا لدى لخضر جمعي بين الإمتاع والفائدة، ذلك أنّ المستند النفسي الذي تمرّ عبره تجربة الخضوع لفعالية الشعر، ووضحت حالة المتلقي الشعرية التي يأسرها الشعر ويتجاوز الانفعال به مستوى اللذة، أو المتعة إلى الإحياء بسلوك أو الدعوة إلى موقف، وإذا كان واضحا في تصوّر الفلاسفة أنّ مصدر المتعة متعلّق بالخصائص الفنية في النصّ أساسا، فإنّ القيمة الأخلاقية رهن المضمون الذي ضبطت الفلاسفة الإسلاميون مجاله وحدوده.

وقد تقرّر في بحث الصورة، والمادة أنّ المضمون الشعري لا يخرج في التصوّر الفلسفي عن الأخلاق، وقد جمعوا ذلك في العادات الشاملة للأفعال، والخلق، أو محاكاة الأزمنة كما هو الحال في القصص الشعري، فطبيعة المضمون الشعري هي التي تحدد القيمة الأخلاقية ومن ثم وظيفة النفع في النص الشعري، في حين يتعلّق بالشقّ الصوري قيمة اللذة، والإمتاع، ويحتّم ذلك منظور منهجي يبتغي التحكم في العناصر المادية والصورية المكوّنة للقصيدة، أما في سياق النص فإنّ الضروري تقتضي أن تتفاعل العناصر المضمونية والصورية في تحقيق مهمّة الشعر الأخلاقية، وهذا هو التصوّر الافتراضي الذي وسم مهمّة الشعر لدى الفلاسفة، في حين تأسس نقدهم للموجود المتمثّل في الشعر العربي على بالقول بطغيان جانب المتعة فيه، وتضاؤل قيمته الأخلاقية.¹⁷

الدعوة إلى الوحدة المغاربية في الشعر الجزائري:

من أهم الشعراء الجزائريين الذين تغنوا بأمال الأمة العربية، والوحدة المغربية فقد استطاع أن يحمل أحزان، وهموم أمته، وبكى آلامها، وشقائها، وفحمل تلك الهموم على عاتقه، فخلّدها في قصائده، وهو في اعتقادي هو الوحيد الذي خلّدها بطريقته الخاصة ولم يفعل ذلك شاعر آخر في المشرق والمغرب معا.

وعليه فمن الشعراء الذين أستهل بهم هذا المبحث الخاص بالدعوة إلى التضامن والاتحاد حول فكرة الاتحاد المغاربي والوحدة العربية شاعر الثورة الجزائرية، والوحدة المغاربية (مفدي زكرياء ففي قصيدة له بعنوان

(واجعل المغرب الكبير وحيدا نحن لم نستجب لغير الوحيد) (من بحر الخفيف) يقول:

- 1- قصّة الشعب أنت أم يوم عيدي أم جلال الإله ملء وجودي؟
- 2- غنّ للكون يا نفمبر شعري أنت من أسكر الدنا بنشيدي
- 3- أنت من علّم المدافع في السّا ح انطلاقا، على رنين قصدي.
- 4- أنت من هدّد المقادير في الغيّب ب، وأزجى شراعها للسّعود.
- 5- أنت من حلّ عُقدة الفلك المَحْ تار، فانقاد للقرار العتيّد.
- 6- أنت من زحزح الظلام بفجر طافح البشر، كالمسيح الوليد.
- 7- وتنبّأت بالمصير، فأمنّنا بوعد السّما، وعزم الأسود.
- 8- واستلمنا البلاغ منك، فبلّغنا البرايا رسالة البارود
- 9- واندفعنا نُغسلُ العار بالنّا ر، ونُغري حدّاده بالحديد
- 10- صدق الوعد يوم صدق العهد د، ووعدت الدّما كعهد الشّهيد.
- 11- صدّق الرّب يوم أن صدّق الشّعْ ب، وحبلُ السّما كحبل الوريد.
- 12- أيّ وحي عن الجزائر يُوحى للبرايا؟ وأيّ ذكرر حميد.
- 13- البطولات، أم كريم السّجّايا أم أعاجب من سَخاء، وجُود
- 14- أم بما إن شاء الهوى؟ والذي شا ء الهوى لا يُقاس بالتّحديد.

- 15-أيها الشعبُ يا حكاية حُبِّي
16-أنت مَنْ وَزَع الضَّيَاء بقلبي
17-والَّذي من ترابه صَوَّرني
18-تربة تصنعُ الملائك لا النَّا
19-كم تممى أبوك آدمُ ، وأن لو
20-لامحى الغدرُ ، وانطوى شبحُ الظلِّ
21-وطني مُدَّ عرفتُ أَنَّكَ خُلِدَ
22-مَوطِنٌ لا يعيشُ فيه لئيمٌ
23-وبلادٌ تخزُّ بالظُّلم الطَّا
24-حَسِبُوا الحُكم مَغْنما ، فتراموا
25-وابتغوه تجارة ، وارثاء
26-وأشاعوا دنيا الشَّباب انهزاما
27-وأرادوه قُرْمِزياً عميلاً
28-وحظوظ البلاد نهب ذئاب
29-والشَّعارات ، والهتافات :يحيا
30-وعيون من الرِّعانف تقفو
31-والملفات بالأكاذيب تندي
32-والأحابيل للأشقاء تُبنى
33-جنَّة الخلد ضاق في رحبها الحرُ
34-سمع الله في العلالي ، يداها ،
35-قال :لبيك يا جزائر ، مازا
36-هكذا ينزلُ السَّتار ، وتطوى
37-والَّذي يحقرُ الشُّعوب يُدنيه
38-وذمام الشُّعوب في حاكميها
39-والسَّعيدُ السَّعيدُ مَنْ راقبَ اللَّـ
40-والليالي من الزَّمان حُبالي
41-وصروفُ الزَّمان خيرعظات
42-أيُّها المهرجانُ في الفرحة الكُبْ
44-والَّذي زوَّر الحدود عليه
45-رجم من أب كريم ، وأمَّ
46-والجراحاتُ ، والأمانى وما شا
- يا كياني ،يا مُبدئي ،يا مُعيدي
وأشاع الحنان ملء ،وجودي .
ملكاً في خلائقي ،وصعودي
،وأرضُ عروقها من جُدودي
خلقوه بطينها من جديد
م ،وسادت رسالةُ التَّوحيد
جِرتُ في أمر خُلده الموعود
لا ، ولا كُلُّ مُستبدِّ عبيد
غي ،وتُهوي بكلِّ غمر بليد.
كابن آوى إلى افتراس المصيد
واستباحوا الأموال للتَّبديد
بين وعد مُجَيِّح ووعيد
لضياع ،على حساب الأسود
وعلى الكادحين لطمُ الخدود
تستقرُّ الأبواق للتَّرديد
كلَّ حرٍّ ،يُعا ف دنيا العبيد
خجلا بين كائد ومكيد
خجلا بين كائد ومكيد .
رُ ،حليفُ ،الأتان ،والتهمد
من دُعا الشَّيخ ،من بُكاء الوليد
ل حُماة الحيِّ هناك جُنودي
قصَّة الظُّلم ،دون جُهد جهيد
غضبُ الشَّعبُ ،في القصاص الأكيد
ذمَّةُ اللّٰه من قديم الغُهود
لَه ،وأوفى لشعبه بالعُهود
مُثقلات مجهولة المولود
تفتحُ السُّبل للذَّاكي الرِّشيد
رى ،هنيئاً بيومك المشهود
لم يُزَوِّر ذِمَّامه بالحدود
وعروق جذورها في الجدود
ء الهوى من موائق وعُهود

- 47- وإذا ما الجفاء باعد يوما بيننا ، ليس ذا أمر جديد
 48- ليس بدعا في العاشقين التجني فلهوى بين ثورة وخمود
 49- قد بلونا الغرام قُربا ، وبُعدا وعرفنا السّماح بعد الصُّدود
 50- لذّة الحبّ في العتاب ، ولولا هُ ، لما لدّ فيه ذكر الحسود
 51- ودلال الحبيب ، ليس مالا والهوى شرعة بدون قيود
 52- أيها الحب أنت مصدر وحي أنا لولاك لم أكن بالمُجيد
 53- أغمُر السّلم ، الرّضى ملء دنيا لك ، نقل للغرام : هل من مزيد؟
 54- واجعل المغرب الكبير وحيدا نحن لم نستجب لغير الوحي¹⁸.

فمن خلال هذه القصيدة التي تتألف من أربعة وخمسين بيتا نظّمها الشاعر لتمجيد نوفمبر ودعوته إلى تحقيق أمله في الوحدة المغربية فيذكر أن ذلك هي قصة شعب خالد كتب اسمه بأحرف من ذهب ووصفه بأنه يوم مشهود ويوم عيد ، وجلال الإله عزّ وجلّ ، ثم يطلب من شعره أن يتغنى فهو من أسكر الدنيا بقصائده ، فنوفمبر هو من علّم المدافع في ساحة الوغى انطلاقا على رنين قصائده ، وهو من عدد المقادير ، ووحلّ عقدة الفلك المختار ، وزحزح الظلام بفجر جديد ، وتنبأ بالمصير ، فتحقّق وعد الإله ، فاستلمنا البلاغ ، وعزّمتنا على غسل العار بالنار ، ونغري حداده بالحديد ، فصدق الوعد يوم أن صدق العهد ، ووعد الدّما كعهد الشهيد ، وقد صدق الله تعالى عهده ، وأنجز وعده بعدها يخاطب الشعب على أنه حكاية حبّه ، وكيانه ، وهو من وظّرع الضياء بقلبه ، وأشاع الحنان ، والرأفة والسكينة ملء الوجود ، بوطنه لا يبقى فيه لثيم ، ولا كلّ متغطرس ظالم عنيد حسبوا الحكم مغنما ، وقد سمع الله تعالى نداء المستضعفين من النساء والولدان ، والشيب ، والشبان فحقق النصر ، وزال الاستبداد عن هذه الأرض الطيبة فقال الإله : (لبيك يا أرض الجزائر) ما زال حماة الحيّ هناك جنودي.

ونجده في أواخر قصيدته يدعو إلى الوحدة المغربية لا سيما في البيت الأخير ، ذلك أنّ الشاعر يبدو أنه مولع بهذه الفكرة كيف لا وهو الملقّب بشاعر الثورة والوحدة المغربية إذ فعلا هذه عقيدته ، وإيمانه بالوحدة بين شعوب المغرب العربي الكبير ذلك أنّ الدين واحد ، والمعبود واحد ، والتاريخ واحد ، والمصير واحد ، واللغة واحدة ، المستقبل واحد ، والعدوّ الذي يترّص بنا واحد. فمن خلال كلّ هذه الأسباب دعا الشاعر النحرير صاحب القامة السامقة مفدي زكريا إلى هذا الوحدة الشاملة الكافية والوافية المحققة للسعادة بين أفراد شعوب المغرب العربي.

ونجده هو نفسه يتغنى بالمغرب العربي في ديوانه (اللّهب المقدّس) حيث قال في قصيدة بعنوان (المغرب العربي أنت جناحه) تخليدا للذكرى الرابعة لعيد استقلال تونس في 30 مارس 1965-1960. فقال :

1- في مثل يومك ، تُكرّم الأعياد وبيوم عيدك يعذب الإنشاد

- 2- عشرون مارس جلّ يوما خالدا
3- عشرون مارس .. أنت أقدس موسم
4- هل في الزمان أجل من يوم به
5- فيك انطوى شبح الحماية، وامحى
6- تنفّس الصعداء شعب طالما
7- ورأى السيادة في بلاد طالما
8- يا شعب تونس، كم لتونس في الفدا
9- أكرم بها حرية قربانها
10- واذكر لأحرار البلاد مواقفها
11- واصعد، وخضّ يا شعب معركة البنا
12- المغرب العربي، أنت جناحه
13- ولتشهد الدنيا، هنالك وحدة
14- شعب الجزائر قام بيني صرحها
15- إقبل تحيته، وبارك حربه
- قد حُطمت في فجره الأصفاد
في أمة، فتكت بها الأنكاد
يقوى الضعيف، وتستقلّ بلاده؟
عهد الظلام، وأشرق الميلاد
ضربت بتونس دونه الأسداد
قضت زمانا للهوان تُفاد
صفحات مجد، خطّتها الأمجاد
ياتونس المهجات والأكبّاد
يسمو بها في الخالدين جهاد
فالعز من عرق الحبين يُشاد
حرك جناحك، يصعد المنطاد
جبارة، تُفتح لها الآباد
بدمائمه، والحادثات شداد
فبفوزه تتجدد الأعياد¹⁹

فمن خلال هذه القصيدة التي ألقاها الشاعر مفدي زكرياء بمناسبة ذكرى استقلال تونس يتّضح لنا أن ذكرى العشرين مارس تُكرم الأعياد، ويُعذبُ الإنشاد وقول الشعر وتهنئة الأحباب، وأنّ هذا التاريخ هو أقدس موسم في زمن أُصيب به الأمة في صميم شخصيتها، وقد زالت دولة الظلم، وحصل الاستقلال وانتصرت الحرية على الاستبداد، والطغيان، وأشرق شمس السعادة والفرحة بجلاء الأعداء على الأرض الطاهرة، وتنفّس الصعداء شعب طالما ضربت بتونس الأسداد، وقد رأى السيادة ظاهرة ففرح بذلك واستبشر، ثم بعده يستعمل الشاعر صيغة التعجب (أفعل به) في يقوله (أكرم بها) وهذا تمجيد للحرية والاستقلال، وبعدها يدعو الشعب التونسي ويتوجه لخوض معركة البناء والتشييد، بعد حصوله على الاستقلال حتى يلحق بركب الدول المتقدمة، ويبني ما فاتته من تخلف، وتحطيم سبّبه العدوان الفرنسي على البلاد، وثم يخاطب بعدها المغرب العربي ويشبهه بالطائر كالنسر فيقول له: أنت جناح هذا الاستقلال، والبناء والتشييد وهنا يبدو أنه يدرك ما يقول ففي الاتحاد بين أمم المغرب العربي يُحقق تونس بمساعدة الجميع ما يصبو إليه ويخرج من محنته، فيطلب منه أن يُحرك جناحه، ويصعد المنطاد، ولتشهد الدنيا بذلك، وأنّ شعب الجزائر قد قام بيني صرحها بدمائمه، والحادثات شداد غلاظ فليقبل تحيته، وبفوزه تتجدد الأعياد والأفراح.

ويذكر الباحث يحيى الشيخ صالح أنّ الشاعر مفدي زكرياء قد عُرف عنه دعوته إلى الوحدة المغربية، وكذا الوحدة العربية ذلك أنّ الأمة العربية في شعر مفدي زكرياء تجلّ ناصع مشرق، ومكانة كبرى، فقد تغنى بآمالها، وبكى آلامها، وحمل همومها على كاهله، وخلّدها في شعره، كما لم يخلّدها أي شاعر آخر في المشرق

والمغرب معا . وكثير من الشعراء قد تغنوا بآمال وطنهم ، وآلامه إلا أن هذا الوطن كان في نظرهم تلك الرقعة الصغيرة من الأرض الغربية التي يحملون جنسيتها على بطاقات هويتهم ، أما الشاعر مفدي زكرياء فلم يتفوق حول الوطنية الضيقة التي تحددها هوية بطاقته باعتباره جزائريا ، بالرغم مما عاشه هذا الوطن من محن، وخطوب في صراعه مع الاحتلال الفرنسي ، ومما لم يستطع أن يشغل مفدي عن الاهتمام بقضايا الأمة العربية الكبرى²⁰ .

ويضيف الباحث يحيى الشيخ حديثه عن تخليد الشاعر لذكريات أمته حتى وهو في أشدّ معاناته وأحزانه، ففي خضم معركة الجزائر ، وثورتها المجيدة ضد الاحتلال الفرنسي الغاشم ، بل ومن وراء القضبان في سجن بربروس الرهيب ينطلق صوت مفدي زكرياء مجلجلا قويا ، ينادي بحياة الأمة العربية ، متألما لما يصيبها ، وما أكثر ما أصابها من نكبات ، وأرزاء ، مثل العدوان الثلاثي على مصر ، وقضية فلسطين ، وتطورها...

ولم يكن اهتمام مفدي بالأمة العربية من النوع الحالم الذي لا يبرز إلا في أوقات الرخاء ، متغنيا بالطبيعة، والجمال ، وزاخرا بالسلامات ، والعواطف ، والأشواق بعيد عن تلمس الداء ، للبحث عن الدواء ، بل شعره في الأمة العربية "ثوريا" بكل ما تحمله هذه الكلمة من معاني التأثير العميق بالخطوب ، والفرح الشديد بالمكاسب ، والانتصارات ، والمشاركة في جميعها ، والتعبير عن المواقف إزاءها بصراحة ، ووضوح . واهتمام مفدي زكريا بالأمة العربية لم يكن وليد ثورة نوفمبر التي ظهرت بوجه مشرق في تأكيد انتمائها العربي بل يرجع إلى فترة مبكرة من حياته .

وأول قصيدة نشرها ، وهو لم يتم العقد الثاني من عمره كانت تتناول قضية ثورية خارج الجزائر ، وبالتحديد في المغرب الأقصى ، وهي ثورة الريف المشهورة الشيء الذي يؤيد ما يحكيه الشاعر عن نفسه من أنه آمن بالوحدة المغربية في شبابه ودعا إليها وهو صغير :

وخلدتُ من مجد العروبة صفحة	رسمتُ على عنوانها وجه قحطان
وملء عروقي صارخ دم يعرب	فألهمني ينبوع يعرب تبيان
وفي المغرب الجبار، ناشدتُ وحدة	سبقت بها في فجر عمري أقراني
وأحببتُ أوطاني ،رضيعا ، ولم أزل	أغني مع الدنيا ،بأمجاد أوطاني
وهمتُ بأبناء العروبة يافعا	أرى كلّ أبناء العروبة إخواني
ورُضت القوافي الجامحات فأسلمتُ	وناديت عملاق القريض ، فلبّاني ²¹

وبقي كذلك ينادي بالوحدة على كل منبر يصل إليها على أنها وسيلة للثورات العربية . وهدف لها في آن واحد . ولم يقتصر التعلق بالأمة العربية ونشدها وحدها على مفدي الشاعر بل تعداه إلى مفدي السياسي فقد كتب سنة 1934م ، مقالا في المؤتمر الرابع لطلبة شمال إفريقيا ، وهو مقال شديد اللهجة ، قوي العاطفة

، ثوري النظرة، والموقف ، سماه (عقيدة التوحيد)²² على غرار عقيدة التوحيد المبثوثة في كتب الفقه غير أنه لا يقصد بالتوحيد إلاّ توحيد الأمة العربية في شمال إفريقيا بأسلوب حازم وصارم لا يتردد في الضرب بقوة على يد كلّ من تسوّّل له نفسه المساس بوحدة الأمة ، والتأثر بالاستعمار في سياسته التفريقية .

وإذا كان مفدي كثيرا ما يركز على الوحدة المغربية أي الوحدة بين أقطار المغرب الربّي فإنّ ذلك لا يطعن في مبدئه حول وحدة الأمة العربية جمعاء في المغرب والمشرق العربيين ، بل يعززه ، و يؤازره ، فهو يرى أنّ وحدة الغرب العربي خطوة في سبيل الوحدة العربية الشاملة ، ووحدة المسلمين جميعا .

هو المغرب الأكبر المستمد رسالاته من رسول الهدى
ووحدة مغربنا اليوم خطو إلى وحدة المسلمين غدا
بتوحيد بعض نوحدا كلا وهل ينكر الخبر المبتدا
فربّما كان مغربنا مثالا قويما به يقتدي
وإن سلك الغرب ف أمرهم سواء السبيل مددنا اليدا²³
وما إن يذكر مفدي الوحدة المغربية في أي موضع حتى يشفعها بالوحدة العربية الشاملة اعتبارا منه أنّهما شيء واحد أو مرحلتان لهدف واحد :

المغرب العربي أقدس وحدة صنعت وشائجها القرون الأولى
يهفو لتونس في النواثب مغرب تخذ الجزائر حبله الموصولا
صرخت بها ملء العروق دماؤنا ولا زكا بها الحب العميق أصيلا
غنيت في فجر الحياة نشيدها ووضعت في ثالوثها إنجيلا
ووقفت في حرم العروبة خاشعا متبتلا لجلالها تبتيلا
وإنّ الوحدة المغاربة عند مفدي زكرياء لا تقوم على أساس تعاطف ينبي على التفاهم ، والتواد فحسب ، مما يجعل أساسها هشاً لا يتحمل صرحها العتيد ، وإنما يراها ضرورة حتمية من العوامل الموضوعية ، والمنطقية ما يجعلها أمرا لازما ومنها :

أ-تشابك الأرحام .

ب-اللغة العربية الواحدة.

ج-الألم.

د-قوة الاتحاد.

هـ-وحدة المصير.²⁴

ومن الشعراء الجزائريين أيضا الذين تغنوا بالوحدة المغربية الشاعر الكبير الفدّ محمد العيد آل خليفة ، فقد تجاوب الشاعر مع الأحداث العربية في كلّ جزء من الوطن العربي ، وهذه إحدى قصائده يحي فيها استقلال السودان الشقيق ، وقد نشرت في العدد 355 من جريدة (البصائر) سنة 1956 م فقال:

فوز سرت بحديثه الركبان فالشرق مُغتبط به جذلان

والسمحة البيضاء تُعلن بشرها
والنيل يجري صاخبا ومُصفقا
وبنو العروبة يهتفون لمركب
والأزهر المعمور يدعو بالهدى
مأمة السودان إلا أمة
الين والتاريخ والدم كلها
لبناء شامخ مجدهم أركان²⁵

ومن شعراء الجزائر أيضا نجد أبا الحسن علي بن صالح (1906-1988م) يدعو إلى الوحدة الكبرى فيقول
ترحيبا بالأخوات الطالبات الليبيات الزائرات لثانوية حسيبة بن بوعلي بالجزائر سنة 1965م في جفل رائع فقال:

ليبيا الشقيقة مرحبا
أهلا وسهلا إخواني
وطني الجزائر أرضكم
أرض البطولة موطن
فالعرب جسم واحد
فن المحيط إلى الخليل
شعب العروبة في المعاد
هل وحدة كبرى؟ فإن
إن لم تكن إلا الأسنـ
أو لم تكن إلا البنا
أو لم تكن إلا المدا
شعب المفاخر والإبـ
فالقلب نحوكمو صبا
حلوا مقاما أطيبا
العربان، سل عنا قبا
رغم الزمان وإن أبى
ج نرى السמידع يعربا
رك جيشه لن يُغلبا
السيل قد بلغ الزبى؟
ة فاجعلوها مركبا
دق فابعثوها موكبا
فع فاطلقوها كوكبا²⁶

ونجد أيضا الشاعر المجيد محمد بلقاسم خمار يتغنى بالوحدة المغربية والأمة العربية في قصيدة
(قصيدة إلى إفريقيا) الجزائر 1979 :

إفريقيا... إفريقيا
لا تسألني ما الخبر
عن ظلنا الممدود في الأحقاب
عن فارس ليس له أثر
هب من السراب
ثم أتى يحمل نايا ووتر
وجرة مملوءة شراب
لا تسألني ما الخبر؟
فيوم أن جالوا مع السحاب
ويوم أن عادوا من القمر

عدنا من التراب.

ليومنا الأغرّ

إفريقيا... إفريقيا

وكلنا بشـ

لكنهم في أرضكم أحباب

في أرضنا

أرباب

ونحن رغم ما أصابنا من ضر

ورغم موتنا العنيد

وبعثنا الجديد

ما زالت الأقوام من ديارنا

تعيش في رحابها أغراب²⁷

والشاعر الثائر رمضان حمود هو الآخر يتغنى بمجد الأمة العربية الإسلامية فيقول:

بكيْتُ ومثلي لا يحق له البكا على أمة مخلوقة للنوازل

بكيْتُ عليها رحمة وصباة وإني على ذاك البكا غير نادم

ذرفتُ عليها أدمعا من نواضر تساهر طول الليل ضوء الكواكب

بكيْتُ فلم يجد البكاء عليهم فلون الدُّجى، يبدو لهم غير حائل

فسيروا حثيثا واستردوا فخاركم فبئست حياة المرء تحت الأدهم²⁸

ونجد أيضا الشاعر الجزائري الدكتور صالح خرفي يهدي قصيدته للشعب العربي قائلا:

أنت يا شعب، والمطامح ترنو من دخیل على البلاد، وما كر

يا حكايات غابر، قد تولى بات يجترها مع الصحب سامر

أنت يا شعب، والبطاح خيام وقلوب تشبثت بالحناجر

عُلب الليل فوق نفطك تطفو ثم ترسو على بنان مقابر

والضحايا على حصيد هوانا وعلى الغوث عاش مليون ضامر²⁹

وغيرهم من الشعراء الجزائريين أمثال الأمير عبد القادر، أبو القاسم سعد الله، والأديب موسى الأحمدي

نويوات، ومبارك جلواح وغيرهم....

شعرية القصيدة لدى مفدي زكرياء :

أردتُ في هذا الجزء التطبيقي الحديث عن الصورة الفنية والتعبير الجمالي، وشعرية قصيدة (هنيئا بني أمي)

للشاعر مفدي زكرياء. وهي قصيدة تتألف من إحدى وخمسين (51) بيتا، ألقاها تهنئة الجزائر الثائرة، المغرب

الشقيق ملكا وحكومة، وشعبا، بمناسبة الذكرى السادسة لإعلان استقلاله يوم 18 نوفمبر 1955-1956م

فقال:

هل نبضات الشعب ، وقَّعتُ ألحاني
وأنشدت في أفراح شعبي ، وترحه
وخلدتُ من مجد العروبة ، صفحة
وملء عروقي ، صارخ دم يعربُ
وتيمني حبَّ الجزائر ، فارتوى
وفي المغرب الجبَّار ، ناشدت وحدة
وأحببتُ أوطاني ، رضيعا ، ولم أزل
وهمتُ بأبناء العروبة ، يافعا
ورُمتُ القوافي الجامحات ، فأسلمت
تعلَّقتُ بالفصحى ، فأشربتُ حُبَّها
إذا كان للشيطان فضل عليهم
ومن يستهن بالتاج ، من أجل شعبه
بني المغرب الأقصى ، هنيئا بموسم
هنيئا بني أمي بعيد خلاصنا

ومن نشوة التحرير ، لحنتُ أوزاني
روائع ، لم يصدع بإعجازها ، ثاني
رسمتُ على عنوانها ، وجه قحطان
فألهمني ينبوع يعرب ، تبياني
نشيدي في الساحات من دمها القاني
سبقت بها في فجر عمري أقراني
أغني مع الدنيا ، بأمجاد أوطاني
أرى كلَّ أبناء الروبة ، إخواني
وناديتُ عملاق القريض فلبَّاني
وأرغمتُ فيها أنف من يتحداني
فشعري وحي لا وسواس شيطان
يعش خالدا في شعبه طول أزمان
به اعتزَّ شعب ، وامحى ظلُّ ماريان
من الغاصب المستعمر الغادر الجاني³⁰

نلاحظ أنَّ الشاعر مفدي زكرياء قد اعتمد على جملة من الأدوات الفنية كالموسيقى بنوعها الداخلية والخارجية، والصورة الشعرية المكثفة، لديه، كذا الرَّمز ، والأساليب البلاغية الجميلة كالمعاني والخيال الخصب، و ألوان البديع . وشعر مفدي زكرياء نظرا إلى أنه شعر خليلي لم يتعد حدود البحور الشعرية الستة عشرة ، وإذا تعداها في محاولته التجديدية القليلة .

من حيث الموسيقى الخارجية في قصيدته نرى أنه اعتمد على بحر الطويل :

وأنشدتُ في أفراح شعبي وترحه
وأنشدتُ في أفراح شعبي وترحه
روائع لم يصدع بإعجازها ثاني
روائع لم يصدع بإعجازها ثاني
0/0/ 0//0/0// 0/0/ 0/ 0//0// 0/ /0// 0/0/ 0/ /0/0//
فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن
فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

أما بالنسبة للقافية فإنَّ حرف النون هو الذي انتهجه الشاعر في قصيدته .

أما عن الصورة الشعرية عند مفدي زكريا فنجدها تتمثل في جانبين : الجانب الجدلاي أو المعنوي ، والجانب النفسي . ومن حيث الوظيفة الدلالية للصورة نجد أنها تحققت بشكل رائع وجيد فقد رسمت الصورة لديه في القصيدة ما كان يهدف إليه من خلال تهنئة الجزائر الثائرة المملكة المغربية بمناسبة حصوله على الاستقلال يوم 18 نوفمبر 1955-1956 م . وقد وظَّف لبلوغ ذلك صور بدينية كثيرة ، وتشبيهات ، ومجازات

متعددة من ذلك قوله: (نبضات شعبي وقَّعتُ ألحاني) فنجد أنَّ الشاعر شخَّص نبضات شعبه و معاناته فوقَّع ألحانه عليها، ومزن شدة فرحه لحن أوزانه على سبيل الاستعارة المكنية .

وقوله: (خلدْتُ من مجد العروبة صفحة رسمت على عنوانها وجه قحطان) حيث شخَّص الشاعر العروبة وجعل لها وجهها رسم عليه عنوانا وهذا أيضا على سبيل المجاز، أي الاستعارة المكنية حيث ذكر المشبه وحذف المشبه، ابقى على شيء من لوازمه وهي القرينة اللفظية. وغيرها من الصور البيانية الكثيرة .

أما عن المعاني فقد وظَّف الشاعر الأسلوب الخبري الذي كان غرضه لازم الفائدة وفائدة الخبر. وم المحسنات البديعية نجد الطباق بين (أفراح وترحه) و (حب ودم).

ويمكن للناقد أن يدرس هذه القصيدة أو غيرها من قصائد الشاعر من جوانب عديدة تتمثل في الآتي:

1-بنية الإيقاع : وتشمل الآتي :

أ-مستوى الشكل ب-مستوى التنوع ج-مستوى التمثيل

2-بنية التوازي : وتشمل الآتي:

أ-المستوى الدلالي ب-المستوى الصوتي ج-المستوى التركيبي .

3-بنية الدلالة : وتشمل الآتي:

أ-مستوى المشابهة ب-مستوى المجاورة ج-مستوى المفارقة

4-بنية الضمير: وتشمل الآتي:

أ-مستوى التكلم ب-مستوى التخاطب ج-مستوى الغائب³¹

الخاتمة :

بعد هذه الرحلة العلمية مع قامات سامقة من الأدب الجزائري، وشعراء كبار وهم يتغنون، ويمدحون الوحدة المغربية، وكذا الوحدة العربية يمكن أن نلخص إلى جملة من النتائج أوجزها فيما يأتي:

1-إنَّ الصدق خاصية أساسية من خصائص الشعر العربي، والشعر المغربي، والجزائري خصوصا ذلك أنَّ الشاعر إذا لم ينتهج هذه الخصلة الحميدة لم يكن له شأن، ولا إقبال عليه، وحتى أنَّ المبدعين الذين يتحرون الصدق في نصوصهم يجدون خلودا لشعرهم، وبالتالي وافيا على إنتاجهم

2-الأساس الأخلاقي للشعر عموما يقوم على مهمة الشاعر المتمثلة في تحقيق المنافع، وإبعاد المهالك، والمضار، فيبسطها في النفوس إلى ما يرام من ذلك، وقبضها عما يرام بما يُخيل له من الخير أو الشر.

3-الشعر المغربي عموما في اعتقادي استطاع أن يجمع في فعلا مضامينه وحدة الفكرة والتصور في نظرة ثابتة عميقة تعبّر عن آمالي الشعوب المغربية، وما تطمح إليه وتتمنى تحقيقه على أرض الواقع، وبالالتحاد بين

أدباء المغرب العربي الكبير في اعتقادي ، يمكن التوصل إلى الحلم الكبير المتمثل في الوحدة المغربية بين الشعوب على المستوى السياسي، لأنه كما يقال :متحدون ننجح ونصل إلى المعالي ،ومتفرقون نسقط ،ونفشل.

4- في تصوري أجد الشاعر الكبير مفدي زكريا هو أحسن سفير للاتحاد المغربي كيف لا وقد كان يُلقب بشاعر الثورة ،والوحدة المغربية ،وكان يعتبر وطنه الكبير هو المغرب العربي الكبير ،و هو جزء لا تجزأ من المشرق العربي حتى أنه يقسم أنه مؤمن بوحدانية الله تعالى ،ويؤمن بوحدانية شمال إفريقيا ،وهو يعمل على تحقيق هذه الأمنية مادام في الجسم روح.

5- في الشعر الجزائري خصوصا ،والشعر المغربي عموما نجد تجليات ساطعة ،وصفحات مشرقة عن الأمة العربية عموما ،والدول المغربية خصوصا ، و منزلة كريمة فقد تغنوا كلهم بآمال هذه الأمة المجروحة، المكلومة، وبكوا همومها ، وحملوا على كاهلهم أحزانها ، وهمومها، وخلدوها في شعرهم ،ودواوينهم. متشوقين إلى وحدة مغربية شاملة ،ولم لا وحدة عربية كبرى ؟ تهابها الأعداء ،ويعملوا لها ألف حساب على شاكلة الاتحاد بين الدول الأوروبية.

هوامش البحث:

- 1- ينظر في الأدب الجزائري الحديث تاريخا ، وأنواعا ، وقضايا، وأعلاما ، د/ عمر بن قينة، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، الطبعة الثالثة 2017م ، ص 15 وما بعدها.
- 2- ينظر المصدر نفسه ص 18 وما بعدها.
- 3- ينظر المصدر نفسه ص 19- 20
- 4- ينظر المصدر نفسه ص 21 وما بعدها .
- 5- ينظر المصدر نفسه ص 41 وما بعدها.
- 6- ينظر : المصدر نفسه ص 46 وما بعدها.
- 7- ينظر في الأدب الجزائري الحديث ، د/ عمر بن قينة ص 59 وما بعدها .
- 8- ينظر : د/ شوقي ضيف ، عصر الدول والإمارات (الجزائر – المغرب الأقصى-مؤيتان-السودان)، دار المعارف القاهرة، ج.م.ع الطبعة 1995م ص 116 وما بعدها.
- 9- ينظر المرجع نفسه ص 381 وما بعدها .
- 10- ينظر المرجع نفسه ص 569 وما بعدها.
- 11- ينظر المرجع نفسه ص 654 وما بعدها.
- 12- ينظر: مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي ، جابر عصفور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2017م ، ص 29.
- 13- ينظر المصدر نفسه ص 29- 30
- 14- ينظر المصدر نفسه ص 30- 31.
- 15- ينظر نظرية الشعر عند الفلاسفة الإسلاميين ، د/ الأخضر جمعي ، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر، 1999م ص 27 وما بعدها.
- 16- ينظر مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي ، جابر عصفور ، ص 202.

- 17- ينظر: نظرية الشعر عند الفلاسفة الإسلاميين ،الأخضر جمعي ،ص119.
- 18- ينظر:ديوان (أمجادنا تتكلم وقصائد أخرى) ،لمفدي زكرياء، جمعه وحققه:مصطفى بن الحاج بكير حمودة، مؤسسة مفدي زكرياء ،الجزائر 2003م ، ص 216-217-218.
- 19- ينظر ديوان (اللهب المقدس) مفدي زكرياء ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، الطبعة الثانية 1991م ص 171-172
- 20- ينظر: شعر الثورة عند مفدي زكريا دراسة فنية تحليلية ، تأليف: يحيى الشيخ صالح ،(رسالة ماجستير) دار البعث للطباعة والنشر ،قسنطينة الطبعة الأولى 1407هـ—1987م ، ص 127 .
- 21- اللهب المقدس ص320-321
- 22- هي مقال من خطبة طويلة ألقاها مفدي زكرياء في جلسة افتتاح المؤتمر الرابع لطلبة شمال إفريقيا الذي انعقد بقاعة الجمعية الخلدونية بتونس سنة 1934 م ،وقد نشرته مجلة (تونس الفتاة) في عددها السابع عشر بتاريخ 9 أوت 1939 م ، أعيد نشره بجريدة (الصباح التونسية) في عددها 2985 بتاريخ 15 مارس 1962م وهو ما يلي:
عقيدة التوحيد:
- 1- آمنْتُ بالله ربّا ،وبالإسلام ديناً ، وبالقرآن إماماً ، وبالكعبة قبلة ، وبسيدنا محمد نبيا ورسولا ، وبشمال إفريقيا وطننا واحدا لا يتجزأ
- 2- أقسم بوحداية اله أنني أومن بوحداية شمال إفريقيا ،وأعمل لها ما دام في قلب خافق ،دم دافق ،ونفس عالق.
- 3- الإسلام ديننا ،شمال إفريقيا وطننا ،والعربية لغتنا.
- 4- لستُ مسلما ،ولا مؤمنا ،ولا عربيا إذا لم أبذل نفسي ، و مالي ، ودمي في سبيل تحرير وطني العزيز (شمال إفريقيا) من أغلال العبودية .
- 5- كلّ مسلم بشمال إفريقيا يؤمن بالله ورسوله ،ووحدة شماله هو أخي وقسيم روحي ، فلا أفرق بين تونسي، وجزائري، ومغربي ..
- 6- كل من عمل للفرقة بين أجزاء وحدة وطني (شمال إفريقيا) اعتبره أكبر عدوّ لي ولوطني ،وأحاربه بكل وسيلة ،ولو كان أبي الذي أنجبني أو أخي من أبي وأمي
- 7- وطن شمال إفريقيا وطن ماجد له ذاتيته المقدسة ،وتاريخه الباذخ ،ولغته الكريمة ،وجنسيته العربية الشريفة .
- 8- قد تبينّ الرشد من الغيّ فلا سياسة اندماج ولا سياسة استجداء نحن طلاب حقّ مغصوب ،وتراث مسلوب فيجب أن نناله وكفى.
- 9- نحن لا نبغض الأجناس فالكلّ عباد الله .
- 10- وطننا شمال إفريقيا جزء لا يتجزأ من جسم المشرق العربي ،نفخ لفرحه ،ونتألم لألمه ،ونتحرّك لتحركه ،ونسكن لسكونه ،وتربطنا به روابط اللغة ،والعروبة ،والإسلام.
- 23- مفدي زكريا -إلياذة الجزائر -محاضرات الملتقى السادس للفكر الإسلامي -ص100
- 24- ينظر: شعر الثورة عند مفدي زكريا دراسة فنية تحليلية ، ص128 وما بعدها.
- 25- ديوان محمد آل خليفة، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ص 354 وما بعدها.
- 26- ينظر ديوان (مآسي وأين الآسي؟) لأبي الحسن علي بن صالح (1906- 1988م) المؤسسة للكتاب ،الجزائر 1988م.
- 27- ينظر: (الحرف الضوء) ،ديوان محمد بلقاسم خمّار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1979م، ص 49 وما بعدها
- 28- ينظر: رمضان حمود ،د/ محمد ناصر، الطبعة العربية ،غرداية ،1398هـ-1978م ص140
- 29- ينظر: ديوان (أطلس المعجزات) ،صالح خرفي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الثانية 1982م، ص213 .
- 30- ينظر ديوان اللهب المقدس، لمفدي زكرياء من ص320 إلى 328.(قصيدة: هنيئنا بني أُمي).